

تاريخ النبات في الأقباطين لعربي بمنطقة الخليج

للدكتورة عفاف خليل

كلية الصيدلة (قسم الأقباطين) جامعة بغداد

منطقة وادي دجلة والفرات وهي المنطقة التي كانت تدعى في وقت ما الميزوبوتاميا (أو الرافدين) وتعرف اليوم بالجمهورية العراقية . ساهم سكانها من السومريين والأكاديين والبابليين والآشوريين ثم العرب وطوال العصور في حضارة رائعة ولعبوا دورا رائدا في الشرق الأدنى في مجالات العلوم والفنون والفلسفة والأديان والسياسة والأدب .

العراق القديم اي السومرية والآكدية واكتشاف اسرارهما وتمت ترجمة الوف النصوص منهما ونشرها فيما بعد .
لذلك استعرض الفترات الآتية من التاريخ :

السومرية ٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق م.

الآشورية ٢٠٢٥ ق م.

و ١٩٠٠ - ٦١٢ ق م.

ثم العربية من ٦٣٢

سومر ٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق م.

وصل السومريون الذين حكموا في أور الى مستوى عال من الحضارة التي تتميز بنظمها في الري فاستخدم السومريون كتابة صورية في البداية اصبحت كتابة مسمارية فيما بعد (بشكل الخوابير الخشبية) وكتبت المسمارية على لوحات الطين وتبدي هذه اللوحات ان السومريين من كل من أرك وأور وكيش ولجش كان لديهم نظام خاص لعلاج الأمراض . وقد وجدت سكاكين نحاسية صغيرة بجانب اللوحات مما يؤدي الى الافتراض بأنها على الأرجح استخدمت كأدوات جراحية . وتم العثور على ختم لطبيب من لجش لحوالي ٣٠٠٠ ق م وهو من نوع الاسطوانة التي حملت على قرميد الطين واستخدمت لتسجيل الأمضاء والمواعيد . كما تم العثور على عدة لوحات في كيش ذات علاقة بالطب .

وهناك لوحة لفترة ٢١٠٠ ق م عثر عليها في نيبور « جنوبي غرب كوت » قبل ٥٠ سنة ترجمت الآن وليست سوى كتيب لطبيب سومري ويمكن اعتباره كأقدم كتاب للأقرباين

وقد استخدمت عدة مركبات في تحضير جرعة الدواء للاستيعاب الداخلي كما تم سحقها واذابتها في البيرة او اللبن كما استخدمت البيرة للتنقيع ايضا . مع ان هذه

وحتى قبل ذلك الزمن عندما كان الانسان يعيش في العصر الحجري حوالي ٨٠٠٠ ق م ادخل العراق في شماله تغييرا ثوريا في انتاج الأغذية كان الانسان آنذاك يمارس الصيد مثل الحيوانات الأخرى لكسب الرزق لكنه تعلم كيف يربي الحيوانات حتى اصبحت دواجن أنيسة ومصدرا احتياطيا جاهزا للغذاء واكثر اهمية من ذلك تعلم الانسان زرع الأغراس . عقب تربية الدواجن وتنمية الزراعة بصورة منتظمة لقد استقر موقف الأغذية وتوفيرها كما ازداد عدد السكان وتطلبت ممارسة الزراعة ان يبقى الانسان في مكان واحد مما ادى الى تنفيذ مشاريع الاسكان وتشبيد المدن . وهذا التطور في الحقيقة يرمز الى بداية الحضارة ويرجع اصل كلمة الحضارة باللغة اللاتينية الى المدينة ، وقد بدأ العصر الحجري الجديد يتقدم بطيئا من مركزه في الشرق الأدنى وفي حوالي ٤٠٠٠ ق م بدأت ميزات هذه الثقافة تتبلور في اوربا الغربية بينما كانت قد نضجت حضارة عظيمة في ذلك الوقت في سومر .

وفي مرحلة مبكرة لهذا التطور قام الانسان بتصنيف النبات وفصل النباتات الصالحة للأكل عن التي كانت سامة كما عرف مواصفات اخرى للنبات مثل تحضير المشروبات عن طريق التخمير وتحضير الزيوت ودور التوابل في الحفاظ على الأغذية .

لقد سبق في المائة عام الأخيرة القيام بأبحاث واسعة في العراق في الآثار . كما تم العثور على اماكن أثرية هائلة وآلاف اللوحات المنقوشة من حفريات مدن السومر وبابل وأشور . وازضافة الى ذلك تم الوصول الى استنتاجات بديعة في علم اللغات أدت الى تفسير اللغتين الرئيسيتين المستخدمتين في

الحراري .

٦ - تنظف وتسحق قشرة الثعبان المائي ويسكب عليها الماء وعلى كل من غرس « اماما شدوب كاسكال » ونبات عطري والقلي المسحوق وطحين شعير جمجام وجلد طائر كوشيبو ويغلي المحلول ويصب المزيج على العضو المعطوب وينظف به ويتم التدليك بزيت النبات ويضاف اليه الساحكي .

٧ - ينظف ويسحق للبقر ويسكب عليه الماء كما يصب الماء على غصن من شجرة نبات عطري وشجيرة النجمة وجذور شجيرة أب (ربما كومي فورا أوبوبالصامم) وقشرة شجرة الكمثرى وملح أب ويغلي المزيج ويسكب المحلول على العضو المعطوب ويطبق عليه ب ب ت نايتريت وشجيرة .

الطب الآشوري البابلي

انتهت الحضارة السومرية في حوالي ٢٠٠٠ ق م وحلت الحضارة الآشورية البابلية محلها . اجتذب الملك حمورابي الى بلاطه في بابل عددا كبيرا من العلماء وتمت في عهده ترجمة وتأليف عدة كتب في الطب كما تم تدوين قوانين حمورابي الشهيرة التي تلقي الضوء على الأوضاع الاجتماعية السائدة آنذاك كان البابليون على الملم بتركيب الكبد وكان عندهم نموذج طيني للكبد وتتكاثر قوائم الأدوية والوصفات والعلاجات التي لجأ اليها الأطباء البابليون الكهان واكثر مقوماتها ترجع الى النباتات وبالإضافة الى الأدوية استخدم هؤلاء الاطباء التعويذات والتعزيم وتذكر على سبيل المثال الأمثلة الآتية :

الوصفات السومرية لا تذكر الكميات المستخدمة لكل مركب او مقدار الجرعة او تردد استيعاب الأدوية او استعمالها او الامراض التي تتعلق بها الوصفات وقد تكون هذه « اسراراً حرفية » اخفاها الطبيب عمدا كي لا يطلع عليها غيره من الاطباء او غير الاطباء او ربما كان يرى ان التفاصيل شيء غير جدير بالاهتمام . على العموم ان الذي يهنا هنا هو عدم اهتمام الطبيب السومري بالسحر او اللجوء الى التعزيم او التعويذات فاللوحة خالية من اية اشارة الى الأمور اللاعقلانية او الخرافات .

الوصفات

١ - المسحوق : الطين من حوض النهر ومزيج الماء والعسل والنفط العائم من البحر وزيت خشب الأرز الساخن كغطاء للمسحوق .

٢ - مسحوق قشر شجرة الكمثرى ونبات هلاي (ربما من نوع ميني اسبيرم) ويحل في نبيذ ويضاف اليه زيت خشب الأرز الساخن .

٣ - تسحق قشرة شجرة الكمثرى وجذور نبات هلاي وتحل في البيرة ويشربها المريض .

٤ - تسحق بذور غرس النجار (قد يكون جمنوسبور ياسراتا) وصمغ الراتينج من شجيرة المركزي والزعرتحل في البيرة ويشربها المريض .

٥ - يمزج كل من قطعة قشر السلحفاة والقلي ذي القرن (سالكورنيا فركتيكوسا) والملح والقرفة الصينية وصمغ الراتينج المسحوق ويغسل المزيج في بيرة من نوع عال ويطبق على العضو المعطوب ويتم التدليك بزيت النبات ويضاف اليه الكونسييس

العيون المتهبة

ينصح الطبيب الكاهن بقطع بصلة في قطع صغيرة وشربها مع البيرة لشفاء التهاب العيون . يبدو بأن هذه العملية تساعد على اسالة الدموع كما يوضع الزيت في العيون لما له من تأثير في اباداة الجراثيم . وهناك وصفة اخرى لعلاج بعض الأمراض مثل الدودة والقرح في المعدة وسوء الهضم او الألم في المعدة . ان كانت المعدة ساخنة تغلي ٧ أدوية (لم تذكر اسمائها او لا يمكن التعرف عليها) وترشح ويغلي المحلول مرة ثانية بالبيرة ثم يرشح ويبرد . يضاف اليه ماء الشعير ويرش عليه ماء الورد . يستخدم هذا المحلول كحقنة شرجية فيشفى المريض .

كان البابليون يؤمنون بأله المرض وتمثله الديانة كشعاره . هذا يدل على ان البابليين كانوا يعرفون بأن الحشرات تحمل الأمراض ومن منجزاتهم الرائعة معرفتهم عزل مرضى الجذام وحماية عامة الناس منهم ومنعوا المجذوم من الاتصال بالمجتمع خوفا من نقل المرض وتقول النقوش التي يعود تاريخها الى قبل ٣٥٠٠ سنة في هذا الصدد انه لن يرجع الى مسقط رأسه الى الابد .

الأشوريون حوالى ١٩٠٠ - ٦١٢ ق م

كان الآشوريون شعبا ذا فتوة وكان جيشهم مزودا بأسلحة حديدية لأول مرة في التاريخ وانتشر الجيش من شمال العراق في كل جهة من الجهات وكانت عاصمتهم نينوى NIANEYEH واحتوت مكتبة الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦) بنينوى على

٢٢,٠٠٠ لوحة طينية ومن بينها حوالى ٦٦٠ لوحة تتعلق بالطب والأقرباذين . قام آر كامبل طوماس بتدوين وتصنيف ٦٦٠ لوحة طبية مسمارية بعنوان « النباتات الآشورية » حيث توجد قائمة بـ ٢٥٠ من الاعشاب والخضراوات الطبية بالإضافة الى ١٢٠ مادة معدنية و ١٨٠ مادة حيوانية وأقرباذين غير معروفة .

وكانت المواد الأتية متداولة آنذاك : الكتان الهندي والأفيون والصنوبر والدفل والراتينج والورد والميعة والحلبينه والقلي النباتي والمر والصمغ النباتي والنعناع والشمرة والسوس وبذور الكتان والحنظل وجاءت القائمة بوصف المواد مثل (الشجيرة التي تنتج اليافا تستخدم في النسيج وتستخدم كالدواء لمكافحة الكآبة وهو القنب طبعا . كذلك ذكر الخيار الصحراوي الذي يبدو كالكرة ومعناه الحنظل اما وصف تحضير الأفيون فلا يختلف كثيرا عما يتضمنه كتاب حديث عن الموضوع . يقول الوصف :

في الصباح الباكر يجمع الأولاد والبنات والمسنات العصير بعملية الكشط باستخدام مغرفة حديدية ويخزنونه في أنية فخارية .

العالم العربي والعقاقير

في عهد الخليفة المنصور العباسي (٧٥٤ - ٧٧٥ م) تم انشاء مدينة بغداد ثم أسس هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩ م) وابنه المأمون (٨١٣ - ٨٣٣ م) ما سمي ببית الحكمة وهو مكون من مكتبة واسعة حيث توافرت التسهيلات اللازمة للعلماء والمترجمين من جنسيات مختلفة لممارسة مهامهم العلمية والأدبية .

حنين بن اسحق (٨١٠ . ٨٧٧ م)

ويدعى « ابو الطب العربي » قام حنين بن اسحق وتلامذته بترجمة عدة كتب لأبقراط وجالينوس والأقرباذين - دايو سكوريديس وكان جابر بن حيان (٧٧٦) اكبر عالم للكيمياء آنذاك وكان ابوه صيدليا ممتازا ذا نفوذ واسع . ومما يجدر بالذكر بأن أول صيدلية خاصة تم تأسيسها في بغداد كانت في حوالي ٧٥٤ م .

الرازي (٨٦٥ . ٩٢٥ م)

ولد في البصرة وكان يعزف في صغره على العود ثم اهتم بالطب وجمع معلومات عن العقاقير من المسنات ذوات الخبرة فيها ومن اخصائي النباتات والاعشاب . وهكذا دون « الكتاب الشامل » في ٢٠ مجلدا وهو بمثابة موسوعة الأقرباذين وقد امر الرازي من قبل الخليفة ببناء مستشفى جديد في بغداد . وعلى سبيل التجربة علق الرازي قطعا عديدة من اللحوم الطرية في انحاء مختلفة للمدينة ليعرف المنطقة التي تعرضت فيها اللحوم لعملية التعفن ببطء نسبيا (وهكذا تحدد البيئات التي كانت اكثر نقاء) وكان ذلك قبل ١٠٠٠ سنة لتجارب باستور وعين الرازي طبيبا مسئولا وفضلا عن ذلك كان استاذًا ممتازا في الطب بصفته كيميائيا بارعا والف الرازي كتابا باسم كتاب « سر الأسرار » .

ابن سينا (٩٨٠ . ١٠٣٦ م)

يدعى ابن سينا امير الاطباء والف عدة كتب عن الموسيقى والفيزياء والرياضيات

والكيمياء وحوالي ٨ كتب عن الطب واحسنها بعنوان « القانون » .

ابن رشد ولد في ١١٢٦

كان طبيبا اندلسيا كتب عن المبادئ العامة في الطب .

ابن زهر (١٠٩١ . ١١٦١ م)

طبيب عربي اندلسي . حارب الشعوذة والخرافات في الطب .

ابن البيطار (١١٩٧ . ١٢٤٨ م)

عالم نبات وصيدي . ألف الأدوية المفردة عن النبات والأقرباذين ووصف ١٤٠٠ نوع من الأدوية والأعشاب وكيفية استخدامها .

البيروني ١٠٥١

الف « كتاب الصيدلة في الطب » وهو ابو الصيدلة العربية في العصور الاسلامية الوسطى ويمكن اعتباره الاول في الاسلام او اية حضارة اخرى الذي دون تاريخ الصيدلانية من جذوره ووضح التطورات في هذا المجال في كل من اليونان والهند وايران وادلى بتفسير وتعريف الصيدلانية بصورة منتظمة وبوضوح منطقي وبشكل موضوعي والقى الضوء على ملابسات مهنة الصيدلة .